الفصل الثاني

التعليم في المسجد الحرام وفي الكتاتيب

obeikandl.com

كان بعض المكيين قبل بزوغ فجر الإسلام يعرفون القراءة والكتابة، فقد كانوا يتاجرون مع البلاد المجاورة، فأخذوا عن سكانها القراءة والكتابة. ويروي الدكتور أحمد شلبي نقلاً عن البلاذري أن عدد من كانوا يجيدون القراءة والكتابة بمكة المكرمة عند ظهور الإسلام سبعة عشر رجلاً[1]. فالأمية لم تكن مطلقة؛ ولكنها كانت متفشية بين الغالبية العظمى من السكان. وبمجيء الإسلام طرأ تعديل جذري على حياة المكيين في شتى مجالات الحياة؛ وهذا راجع إلى عوامل متعددة، منها تشجيع الإسلام للعلم والعلماء. فقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحث على العلم والتعليم ؛ منها قوله تعالى :

{ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات }[2]

كما حثت السنة النبوية على طلب العلم، وشرحت آدابه. فقد خرج رسول اللّه ﷺ ذات يوم من بعض حجره، فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين : إحداهما يقرءون القرآن، ويدعون اللّه، والأُخرى يتعلمون، ويُعَلِّمُونَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ؛ هَؤُلاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ.[3]

وهناك أيضاً أقوال مأثورة عن الصحابة، رضوان الله عليهم، تبين فضل العلم؛ فمن أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :"العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم حاكم والمال محكوم عليه." وقال أيضا :

---

[1] – أحمد شلبي : **تاريخ التربية الإسلامية** ، ٣٤ .

[2] – **سورة المجادلة : الآية** ١١ .

[3] – **سنن ابن ماجة** ، كتاب المقدمة ، رقم الحديث ٢٢٥.

"تعلموا العلم؛ فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد .. وتعليمه من لا يعلمه صدقة."[٤]

نظرة الإسلام إلى الفرد

الدعوة إلى العلم تعني أن الإسلام ينظر للفرد على أنه كائن قابل للتعلم. قال الله تعالى :

{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}[٥]

فالإنسان يتعلم عن طريق السمع، والبصر، والفؤاد. والقرآن الكريم يشير صراحة إلى أدوات التعلم والمعرفة. ومعلوم أن كلا من هذه الوسائل يطلع الإنسان على عالم من الموجودات لا يطلعه عليها غيرها من الوسائل. والإسلام يقر بوجود الفروق الفردية؛ فليس الذكر كالأنثى، ولا يتساوى العالم والجاهل. ويخطئ جرونباوم حين يدعى أن الإسلام أهمل الفروق الفردية؛[٦] بدليل قوله تعالى : "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض"[٧]

ويخطئ جرونباوم مرة أخرى حين يقول إن الإسلام لم يعترف للإنسان إلا بالقليل من التقدير؛ إذ يقول :

"فهو؛ أي الإنسان ليس مكونا من مادة مهينة فحسب، بل هو ضعيف، عديم الحس ساعة ينحدر، وهو يريد المعرفة؛ ولكن الجهل نصيبه. وهو يريد أن يتذكر؛ ولكنه ينسى."[٨]

---

[٤] – أحمد عبد الغفور عطار: **آداب المتعلم** ، ٧٤،١٧٢.

[٥] – **سورة النحل** :الآية ٧٨

[٦] – **حضارة الإسلام** ، ٢٨٢.

[٧] – سورة **النساء** : الآية ٣٢.

[٨] – **المصدر السابق** ، ٢٨٣ .

والواقع أن الإسلام قد رفع من مكانة الإنسان؛ فقد أكد إنه إيجابي إزاء كل ما هو مخلوق، قال تعالى :

{ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه}[٩]

فهذه الآية الكريمة تبين أن الإنسان يحظى من رعاية الخالق سبحانه وتعالى بالقسط الوافر؛ فهو ينتفع بكل ما في الكون الهائل، من بحار، وأنهار، وجبال، وشمس، وهواء،وكواكب، ونجوم، وحرارة، وبرودة. ولولا أنه مزود بالقدرة على استغلال ما في الكون لما انتفع بما يحيط به.[١٠]

والإسلام يرى أن الإنسان روح وجسد في آن واحد. وهو يخالف نظرة المذاهب المادية التي لا تقر بوجود الروح، كما أنه يناقض دعوة من يقولون بحقارة الجسد. فالمؤمن لا يجوز له أن يبخس الجسد حقه؛ بل هو مطالب بالتمتع بنعم الله. فالله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. فالهدف الأسمى للتربية الإسلامية الإعداد لليوم الآخر؛ دون إهمال الحياة الدنيا، قال تعالى :

{ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا }[١١]

فالإنسان المؤمن لا يترك في دنياه ما أحله الله تعالى له، ويستثمر حياته كلها في عمل الصالحات.[١٢]فالمنهج الإسلامي في الحياة يقوم على الوسطية، وهو لا يحرم الإنسان من التمتع بالحياة الدنيا؛ شريطة أن لا ينسى وجهته النهائية؛ أي الحياة الآخرة. ويحلل أحمد عبد الغفور عطار هذا الهدف العام للتربية الإسلامية إلى عدة أغراض، هي: الغرض الديني ، والغرض

---

[٩] – **سورة الجاثية** : الآية ١٣

[١٠] – سيد قطب : **في ظلال القرآن**، الجزء الخامس والعشرون، ١٣٠-١٣١.

[١١] – **سورة القصص** : الآية ٧٧.

[١٢] – الطبري : **جامع البيان**، الجزء العشرون، ١١٢-١١٣.

الاجتماعي، والغرض العلمي، والغرض النفعي، والغرض الحزبي[١٢]. وفي اعتقادي أن هذا التصنيف للأهداف غير دقيق؛ ذلك أن الغرض الديني في الإسلام لا ينفصل عن الأهداف الأخرى؛ فالدين يدخل في مجالات الحياة كلها.

دور المسجد في التعليم

كان الرسول ﷺ يعلم أوائل الإسلام تعاليم الدين الحنيف في دار الأرقم ابن الأرقم. وقد كانت تلك الدار أول مدرسة في تاريخ الإسلام. كذلك كان الرسول ﷺ يلتقي مع أتباعه في داره إلى أن نزلت الآية الكريمة :

{ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق }[١٣]

وقد فهم المسلمون من الآية الكريمة أن دخول بيت النبي ﷺ دون إذن، والجلوس فيه بعد الفراغ من أكل الطعام يؤذيه.[١٤]كما أن الأمر في هذه الآية الكريمة بفرض الحجاب على نساء النبي ﷺ يقتضي عدم الجلوس في حجرات أمهات المؤمنين. ويبدو أن المسلمين فهموا أنه يستحسن عدم اتخاذ البيوت مقراً للتدريس؛ فكان المسجد مقراً للتدريس منذ تأسيسه[١٥]. فالمسجد في الإسلام ليس مكاناً للصلاة وحسب؛ بل هو مدرسة أيضاً. إنه مكان للعبادة بمعناها الواسع؛ إنه مركز للتدريب على الانقياد للمبادئ الإسلامية. ومن

---

[١٢] – **آداب المتعلمين** ، ١٣ – ١٥.

[١٣] – **سورة الأحزاب** : الآية : ٥٣.

[١٤] – الطبري : **جامع البيان**، الجزء الثاني والعشرون، ٣٩.

[١٥] – أحمد شلبي : **تاريخ التربية الإسلامية** ، ٥٤ – ٥٥ .

مزايا التعليم في المسجد تكافؤ الفرص التعليمية؛ فالمسجد مفتوح لجميع المسلمين؛ لا فرق بين غني وفقير، وصغير وكبير. ويمكن لأي مسلم أن ينضم للحلقة التي يرغب في الالتحاق بها بدون قيد أو شرط.[١٦] كذلك فإن التعليم في المسجد يراعي الفروق الفردية؛ فلا يفرض على طالب العلم موضوع التعلم، ولا من يعلمه؛ ولكنه هو الذي يختار الشيخ الذي يريد التعلم على يديه، والموضوع الذي يرغب في تعلمه. فينتقل الطالب من حلقة لأخرى حسبما تمليه عليه رغبته؛ حتى يستقر به الأمر في النهاية في الحلقة التي تلائم استعداداته وميوله. كل هذه المزايا جعلت المسجد يخرج القادة،والعلماء، والعباقرة.[١٧]

التدريس في المسجد الحرام حتى العهد السعودي

كانت مكة المكرمة، والمدينة المنورة، مركزين مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية. وبعد فتح مكة المكرمة عين الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ ليعلم الناس تعاليم الدين الإسلامي. وأخذ المسجد الحرام يزدحم برجال الحديث الشريف، والقراء. وفي العهد الأموي كثرت رحلة العلماء لمكة المكرمة؛ ولعل العلماء اتجهوا شطر مكة المكرمة؛ لمكانة المسجد الحرام، ولبعدها عن الفتن السياسية. وكان الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من أبرز من اتخذ مكة المكرمة مقراً له. وكان ابن عباس قد عمل والياً على البصرة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعد أن انتقلت مقاليد الحكم لمعاوية بن أبي سفيان ترك العراق، ورجع إلى مكة المكرمة، وأخذ يلقي دروسه في المسجد الحرام. ويذكر المؤرخ السباعي أن مدرسة ابن عباس ظلت تؤدي وظيفتها بأقوى ما تؤديه المدارس الحية، وتنتقل معارفها

---

[١٦] – **المصدر السابق**، ٢٤٧.

[١٧] – **مجلة الحج** ، السنة الرابعة والعشرون : العدد ١١.

من جيل لآخر.[١٨] ويرى السيد أحمد علي أن ما اتبعه ابن عباس في توزيع الدروس على أيام معلومة يعد أساساً لجدول الدروس الأسبوعي؛ فقد كان جدول دروسه كالتالي[١٩]:

اليوم الأول : فقه

اليوم الثاني : تفسير

اليوم الثالث : تاريخ الإسلام

اليوم الرابع : أدب

اليوم الخامس : تاريخ ما قبل الإسلام

وظلت حالة مكة المكرمة في العهد العباسي على ما كانت عليه في العهد الأموي، وظل العلماء يتلقون العلم طبقة عن طبقة. وممن أشتهر من علماء مكة المكرمة في هذا العهد عبد الملك بن جريج المتوفى ١٥٠ هـ. فقد كان هذا علماً من أعلام مدرسة مكة المكرمة ، وتلقى على يديه العلم نخبة من العلماء، منهم الأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينه.[٢٠]ثم أخذت جذوة مدرسة مكة المكرمة تخبو؛ نظراً لكثرة من رحل من علمائها إلى سائر الأقطار الإسلامية؛ لنشر العلم، ورواية الحديث الشريف. وبحلول القرن الرابع الهجري بدأ ضعف النشاط العلمي بها واضحاً.[٢١]

لم يكن العلماء يتقاضون راتباً من الدولة لقاء الدروس التي يقومون بتدريسها في المسجد الحرام، وكانوا لا يأخذون من الطلبة صدقة، أو زكاة؛ لأن تعليمهم كان في سبيل الله تعالى. وكان كل عالم يلقي على طلابه العلوم

---

[١٨]- أحمد السباعي : **تاريخ مكة** ، الجزء الأول ، ١٠٢ – ١٠٣ .

[١٩] - **مجلة الحج** : السنة الخامسة عشرة : العدد الثاني،١٦ شعبان ١٣٨٠ هـ .

[٢٠] – أحمد أمين : **ضحى الإسلام** ، الجزء الثاني ، ٧٣ ، ٧٤ .

[٢١]– أحمد السباعي ، **مصدر سابق** ، ١٦٥ .

التي تبحر فيها. والدراسة في الحرم المكي لم تسر وفق منهاج محدد؛ فالشيخ هو الذي يقرر ما يريد تدريسه، والطالب يختار الشيخ الذي يعلمه. ولم يكن جميع المدرسين يسيرون وفق منهاج معين في تدريسهم بالمسجد الحرام، إذ إن مناهج حلقات المسجد كانت متروكة للمدرسين، يدرس كل منهم ما يراه مفيدا لطلابه.

وعندما يستوعب الطالب دروس **شيخه**، يحصل منه على إجازة لتدريس ذلك الموضوع. وغالبا ما كان الطالب يحصل على إجازات من عدد من الشيوخ. وفي ما يلي نص لإحدى الإجازات التعليمية التي أعطاها أحد علماء المدينة المنورة لأحد علماء مكة المكرمة هو الإمام الفاسي مؤرخ مكة المكرمة الشهير.

" كان ممن اجتمعت به وذاكرته.. القاضي تقي الدين محمد بن الشيخ الحسيب الأصل شهاب الدين أحمد بن علي الفاسي. وقد ورد علينا بالمدينة الشريفة، وحضر معنا درس الفقه والأصول. وأبدى فيه من فؤاده، ومباحثه الجليلة، ما يليق بعلمه، وفضله، على طريقة أهل الفنون والمباحث. فرأيته في ذلك كله أهلا للتدريس، والفتوى، وإفادة الطالبين؛ على ما جبل عليه من حسن الفهم، وحسن الإيراد، وسعة البال، في البحث والمراجعة فيه. فأوجب ذلك كله الإذن له في التدريس، والفتوى، وإفادة الطلبة، وحثه على الاشتغال بذلك كله، والملازمة له؛ لينتفع به الناس عموما، وأهل بلده خصوصا. فإني لم أر من فقهاء المالكية بالحجاز كله من يقاربه في جميع ما ذكرناه".[٢٣]

---

[٢٣] - الفاسي : **العقد الثمين** ، الجزء الأول، ٣٩٩.

وفي القرن الثامن الهجري أخذ بعض الأمراء المسلمين، وبعض التجـــار الموسرين، يقررون دروسا للتدريس في المسجد الحرام، وكانوا يدفعون لمـــن يقوم بتدريسها أجرا معلوما. ومن ذلك :

١) درس قرره شاه شجاع* ملك شيراز فـــي الحديـــث الشـــريف بالمســـجد الحرام. وممن ولي تدريسه علي الفوي المتوفى ٧٨١هـــ ، وكان يأخذ لقـاء تدريسه نحو مائتي مثقال سنويا.[٢٤]

٢) درس قرره بدر الدين الخروبي، أحد تجار مصر، وولى تدريسه علي بـن محمد الحسيني.[٢٥]

٣) الدرس الذي قرره بشير الجمدار،أحد أمراء المماليك بمصر، وممن ولـــي تدريسه القاضي جمال الدين بن ظهيرة، والقاضي أحمد العقيلي الملقب بمحـب الدين النويري. وقد كان هناك تنافس على تدريسه، إذ عندما عين محب الدين النويري قاضيا للحرمين؛ أصر على انتزاع درس بشير الجمدار من القـاضي جمال الدين بن ظهيرة، فكان له ما أراد.[٢٦]

٤) درس في الفقه الحنفي قرره يلبغا الخاصكي، أحد مماليك الملك النـــاصر ابن قلاوون. وممن ولي تدريسه محمد الصاغاني[٢٧]، الذي باشر التدريس فـــي شوال سنة ٧٦٣ هـــ ، وبعد وفاته حل محله ابنه أحمد بن محمد الصاغاني.

---

* - هو شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي ملك شيراز وما حولها. اشتهر بحب العلـم، وكان له إلمام جيد بالعربية. توفي سنة ٧٨٧ هـــ. انظر ابن حجر العســـقلاني : **الـدرر الكامنة**، الجزء الثاني ،٢٣٧.

[٢٤]- الفاسي : **العقد الثمين** ، الجزء السادس، ١٣٠.

[٢٥] - **المصدر السابق**، الجزء السادس،٢٣٧.

[٢٦] - **المصدر السابق**، الجزء الثاني، ٥٦.

[٢٧] - **المصدر السابق**، الجزء الثاني،٢٩٢.

لم تقتصر فائدة الدروس التي كانت تلقى بالمسجد الحرام على المكيين؛ بل نهل من هذه المدرسة علماء من شتى ديار المسلمين. وكانت ترد إلى مشاهير الحرم أسئلة من المدن، والأقطار المجاورة، وكانوا يتولون الرد عليها. ويذكر الفاسي أن القاضي جمال الدين بن ظهيرة ــ وهو ممن ولي التدريس بالمسجد الحرام في القرن الثامن الهجري ــ كانت ترد إليه أسئلة كثيرة من الطائف وما حولها. كما وردت إليه من عدن، ومن مدن يمانية أخرى، مئات الأسئلة، وكان يرسل رده عليها.[٢٨]

وفي أواخر العهد العثماني طرأ تغير على منح الإجازات التعليمية. فأصبح على كل من يرغب في التدريس في بالمسجد الحرام أن يقدم طلباً لقاضي القضاة؛ وفي أول العام الهجري يعقد قاضي القضاة مجلساً علمياً برئاسته، ويحضره كل من : مفتي الشافعية، ومفتي المالكية، ومفتي الحنابلة. وكان يمتحن الطالب في اليوم الواحد في درس، أو درسين. فإذا نجح أعطيت له شهادة التدريس بالمسجد الحرام، ثم يرفع اسمه للحاكم؛ ليعطيه من الحنطة التي كانت ترد لأهل الحرمين الشريفين. ولم تكن الدولة تدفع رواتب إلا لكبار المدرسين؛ كالسيد بكري شطا، والشيخ عمر باجنيد، والشيخ سعيد يماني. كما عين زمن الدولة العثمانية مراقب للمسجد الحرام، يشرف على سير الدروس، ويمنع من التدريس كل من لا يحمل ترخيصا بذلك.[٢٩]

التعليم في المسجد الحرام في العهد السعودي

عنيت الدولة السعودية منذ أوائل عهدها في مكة المكرمة بتنظيم الدروس في المسجد الحرام؛ ، فشكلت دائرة للقضاء، وتولى رئاستها الشيخ عبد الله بن بليهد. وقد صدر أمر ملكي في ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ

---

[٢٨]- **المصدر السابق**، الجزء الثاني،٥٦.

[٢٩]- أرسل فضيلة الشيخ عبد الله خياط هذه المعلومات رداً على استفسار من المؤلف.

الموافق ٢٢ تشرين أول ١٩٢٦م، تمت المصادقة بموجبه على نظام التدريس العام في المسجد الحرام. وقد جاء في ذلك الأمر ما يأتي :

١) تشكيل **لجنة علمية** برئاسة سماحة قاضي القضاة الشيخ عبد الله آل بليهد وعضوية كل من :

- الشيخ محمد كامل القصاب مدير المعارف العمومية.
- الشيخ بهجت البيطار مدير المعهد الإسلامي السعودي.
- الشيخ عبد الله حمدوه السناري مدير الفلاح.
- الشيخ أمين فودة نائب رئيس القضاة.

٢) مهمة الهيئة العلمية الأشراف على سير الدروس في الحرم المكي؛ فهي التي تختار الكتب النافعة، وتعين الأساتذة الأكفاء المشهود لهم بحسن السيرة.

٣) تجتمع هذه الهيئة مرة واحدة كل نصف شهر، ولها أن تجتمع عندما تدعو الضرورة لذلك.

٤) على المدرسين أن يبينوا أثناء تدريسهم البدع والخرافات التي أدت إلى تأخر المسلمين في الماضي، ولا يجوز لأي منهم أن يتغيب دون عذر شرعي، وإذا ارتكب أي مدرس مخالفة؛ فإن **الهيئة العلمية** تنظر في أمره، وتقرر ما تراه مناسباً.

٥) الموضوعات التي تدرس هي : فقه المذاهب الأربعة، واللغة العربية، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والوعظ والإرشاد.[٣٠]

وحرصاً من الهيئة على رفع مستوى التعليم؛ فقد تم التعاقد مع عدد من العلماء من مصر؛ ليقوموا بالتدريس في الحرم المكي، ومن بين هؤلاء الشيخ

---

[٣٠] – وزارة المعارف ، **النشرة التربوية** ، العدد الثالث ، ١٢٠.

أيضا صحيفة **أم القرى** : ١٥ ربيع ثاني ١٣٤٥ هـ ، ١.

obeikandl.com

عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي، والشيخ عبد الرحمن أبو حجر المغربي.[٣١]

وفي عام ١٣٤٦ هـ تشكلت هيئة رئاسة القضاة برئاسة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، وبعد ذلك بعام واحد تشكلت هيئة باسم **هيئة مراقبة الدروس**. وكانت ترتبط برئيس القضاة، وتتولى الإشراف على التدريس بالمسجد الحرام. وكان المدرسون يعينون بأمر ملكي؛ بناء على ترشيح رئيس القضاة. ويقوم النائب العام للملك بتبليغ الأمر إلى مدير المعارف؛ لأن مديرية المعارف كانت تتولى صرف مرتبات المدرسين، فارتباط المدرسين بمديرية المعارف كان ارتباطا ماليا.

وقد جاء في نظام تركيز مسؤوليات القضاة الشرعي الذي توج بالتصديق العالي في ١٤ محرم ١٣٧٢ هـ ما يلي : "جميع المدرسين الرسميين في المساجد يكون تعيينهم، وفصلهم، وتنقلاتهم، وإجازاتهم، وغير ذلك، من اختصاص رئاسة القضاة.. ومن حقها مراقبة الدروس التي يلقونها؛ بحيث لا يقرر فيها ما يخالف العقيدة، ويتنافى مع الشرع الشريف. والمدرسون غير الرسميين يكون التصريح لهم بالتدريس من قبلها. ومن اختصاصاتها المراقبة على دروسهم؛ بحيث لا يقرر فيها ما يخالف العقيدة، ويتنافى مع الشرع الشريف. وعليها منعهم من التدريس عند حدوث ما يستوجب ذلك."[٣٢] ويؤكد بيان صدر عن مراقب التدريس بالحرم المكي الشيخ عباس عبد الجبار في ١٨ شوال ١٣٧٨هـ أنه لا يسمح لأي شخص أن يقوم بالوعظ والتدريس ما لم يكن حاملاً وثيقة رسمية من مقام رئاسة القضاة؛ ويستثنى من ذلك

---

[٣١] – عن فضيلة الشيخ عبد الله خياط.

[٣٢] – **نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي**، ٤.

المدرسون الوافدون لأداء فريضة الحج؛ فهؤلاء يسمح لهم بالوعظ والتدريس الموافق للكتاب والسنة. وكل من يخالف هذه التعليمات يمنع من قبل رجال شرطة الحرم.[٣٣] وقد ظل التعليم بالحرم المكي خاضعاً لإشراف رئاسة القضاة حتى عام ١٣٨٥هـ ؛ حين صدر مرسوم ملكي يقضي بربط التدريس في المسجد الحرام بالرئاسة العامة للإشراف الديني التي شكلت عام ١٣٨٢هـ برئاسة سماحة الشيخ عبد الله بن حميد. وكانت الرئاسة العامة للإشراف الديني تسمح للعلماء من سائر الأقطار الإسلامية بالتدريس بمختلف اللغات بعد أخذ موافقتها. كما عهدت إلى العديد من المدرسين الذين يتقنون لغات أخرى بإلقاء دروس في مواسم الحج؛ لنشر العلم، وإفادة الحجيج. ويمكن تصنيف الدروس التي كانت تلقى في المسجد الحرام عام ١٣٨٨هـ في ثلاث فئات، هي :

١) الحلقات الدراسية
٢) حلقات تحفيظ القرآن الكريم
٣) الدروس الرسمية التي تلقى على طلبة معهد الحرم المكي

الحلقات العلمية : الحلقات في العهد السعودي استمرار لما كان عليه الحال منذ صدر الإسلام. وعدد الحلقات غير ثابت؛ إذ يزيد أيام الحج، ويقل أيام الصيف. أما طريقة التدريس فتسير على النحو التالي : يأتي المدرس إلى مقر الحلقة، فيعتلي منبره، أو يجلس في وسط الحلقة. ويبدأ الشرح بقراءة الآية، أو الحديث أولاً، ثم يعيد القراءة مع الشرح. وهناك مجال أمام المستمعين لطرح الأسئلة، والاستفسار عن النقاط التي لم يفهموها.

حلقات تحفيظ القرآن : تعود فكرة إنشاء هذه الحلقات إلى الشيخ محمد يوسف سيتي أحد تجار باكستان. فقد أنشأ في باكستان مئات المدارس التي

---

[٣٣]- **المصدر السابق**، ٤.

يرتادها الطلاب بعد الفراغ من دراستهم الرسمية. وقد عرض الفكرة على العلماء في مكة المكرمة، فلقيت ترحيباً كبيرا، وتشكلت جماعة من العلماء تشرف على تنفيذ هذا المشروع، عرفت باسم **جماعة تحفيظ القرآن**. وعين محمد يوسف سيتي رئيساً لها. أما أعضاء الجماعة فهم :

- علوي عباس مالكي — نائبا للرئيس
- عبد الله بن عقلا — عضواً
- غلام مصطفى — عضواً
- محمد صالح قزاز — عضواً
- عبد الله الساسي — عضواً
- محمد عبد الهادي عقيل — عضواً
- صالح باخطمه — عضواً

وأما الأموال اللازمة لهذا المشروع الخيري فقد جاءت من عدة مصادر، نذكر منها :

- تبرع صاحب الفكرة بتسديد ثلث رواتب المدرسين، وفي عام ١٣٨٧هـ توقف عن المساعدة لظروف مالية قاهرة. فتعهد الشيخ حسن الشربتلي بدفع راتب شهري قدره ٥٤٠٠ ريالا سعوديا.
- خصصت رابطة العالم الإسلامي لهذا المشروع عشرة آلاف ريال شهرياً؛ ابتداء من شهر رجب عام ١٣٨٣هـ.
- تبرع الشيخ محمد بن لادن بخمسة آلاف ريال شهرياً.
- خصص محسن ليبي هو الحاج سليمان المطاوع عشرة آلاف ريال شهرياً للجماعة.

obeikandl.com

- تبرعات وزارة المعارف؛ فقد أعطت الوزارة للجماعة عشرة آلاف ريال في شهر رمضان ١٣٨٧هـ ، واستبدلت هذه المساعدة بمساعدة شهرية قدرها سبعة آلاف ريال ابتداء من عام ١٣٨٨هـ.
- تبرعات فردية أخرى.[٣٤]

افتتحت الجماعة أول مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم في مسجد بن لادن بالحفائر، ثم توالى فتح المدارس؛ حتى زاد عددها عام ١٣٨٩هـ عن عشرين مدرسة، ومقر بعض هذه المدارس في المسجد الحرام. وتتم الدراسة فيها بين صلاتي العصر والعشاء. ومنذ أوائل عام ١٣٨٦هـ أصبحت وزارة المعارف تشرف على اختبار الطلاب؛ من خلال مديرية التعليم في مكة المكرمة. وبلغ عدد من حفظوا القرآن الكريم بكامله عام ١٣٨٧هـ ١٨ طالباً، وعام ١٣٨٨هـ ١٢ طالباً، وعام ١٣٨٩هـ ٢٣ طالباً. وبعد أن ازداد عدد حفظة القرآن الكريم؛ رأت الجماعة أن يقوم هؤلاء بصلاة التراويح في بعض المساجد؛ تشجيعاً لهم. وقد نجحت هذه الفكرة، ويظهر عدد من صلى منهم إماماً في صلاة التراويح في مساجد مكة المكرمة في الجدول التالي.

الجدول رقم (١)

عدد من صلوا إماما من خريجي مدارس تحفيظ القرآن

السنة	عدد من قاموا بالإمامة	عدد المساجد
١٣٨٦هـ	٧٣	٢٥
١٣٨٧هـ	٧٢	٦٢
١٣٨٨هـ	١٥٣	٧٧
١٣٨٩هـ	١٩٢	٨٦

---

[٣٤] -صحيفة الندوة : العدد ٧٢، ٣.

ولم تكتف الجماعة بهذا؛ بل رأت أنه من المناسب إعطاء من حفظوا القرآن دروساً في التجويد؛ ليكونوا أساتذة للقرآن الكريم، فافتتحت معهداً لهذا الغرض. وقد عينت الجماعة من أتموا الدراسة في المعهد مدرسين في مدارسها. كذلك فإن الجماعة لم تنس تعليم الفتاة تلاوة كتاب الله تعالى، وحفظه؛ فقد عرضت فكرة إنشاء مدارس لتعليم البنات القرآن الكريم على الرئاسة العامة لتعليم البنات، فوافقت الرئاسة على ذلك، وتعهدت بتسديد نصف النفقات. وافتتحت أول مدرسة لتحفيظ البنات القرآن الكريم في ٢٠ محرم ١٣٨٨هـ. وقفز العدد إلى عشر مدارس بعد مضي عام واحد من ذلك التاريخ.[٣٤]

معهد الحرم المكي : رغبة من الرئاسة العامة للإشراف الديني في إحياء سيرة السلف الصالح، وإتاحة مجال التعليم أمام الوافدين على الحرم المكي، فقد قررت افتتاح معهد بالمسجد الحرام تنتظم فيه الدراسة رسمياً، فأنشئ معهد الحرم المكي عام ١٣٨٥هـ ، وتتم الدراسة فيه أثناء النهار؛ لا بعد صلاة المغرب كما هو في الحال في الحلقات. وتقرر عند افتتاحه أن يضم المعهد المراحل التالية :

المرحلة الإعدادية، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات.

المرحلة الثانوية، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات.

المرحلة العالية، ومدة الدراسة بها أربع سنوات.

ويشترط للقبول في المعهد أن يكون الطالب سعودي الجنسية، أو حاملاً تأشيرة إقامة تثبت أنه دخل البلاد بطريقة رسمية. ويقبل في الصف الأول الإعدادي من يحمل الشهادة الابتدائية، أو من ينجح في امتحان معادل لهذه

---

[٣٤]- جماعة تحفيظ القرآن بمكة المكرمة ، **التقرير الثاني** ، ٦.

الشهادة في العلوم الدينية، واللغة العربية. أما المزايا التي ينالها الطالب فهي: مكافأة شهرية قدرها ١٥٠ ريالاً لطالب القسم الإعدادي، و٢٠٠ ريال لطالب القسم الثانوي. وتصرف المكافأة عن جميع شهور السنة؛ مراعاة لظروف الفقراء، والطلبة غير السعوديين، كما تصرف جميع الكتب المقررة مجاناً.[٣٥] ويركز منهاج المعهد على العلوم الدينية. وتظهر الخطة الدراسية بمعهد الحرم في الجدول التالي.

الجدول رقم (٢)

الخطة الدراسية بمعهد الحرم المكي

الموضوع	المرحلة الإعدادية			المرحلة الثانوية		
	الأول	الثاني	الثالث	الأول	الثاني	الثالث
العلوم الدينية	١٥	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
اللغة العربية	٧	٦	٦	٦	٦	٦
التاريخ الإسلامي	٢	١	١	١	١	١
المجموع	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤

والتاريخ الإسلامي الذي يدرس في المرحلة الإعدادية هو السير النبوية الشريفة ؛ فالوقت المخصص لتدريس تاريخ الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ في المرحلة الثانوية لا يتجاوز ٢ % من مجموع الوقت المخصص للمنهاج بكامله.

---

[٣٥] – الرئاسة العامة للإشراف الديني ، نشرات تتعلق بالمعهد.

التعليم في الكتاتيب

ظهر الكتاب كمؤسسة تعليمية منذ أوائل العهد الإسلامي ، والكتاب هو المؤسسة التعليمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتقوم بتربية صغار المتعلمين. وسمي الكتاب بهذا الاسم نظراً لأن الطفل كان يتعلم فيه الكتابة، ثم عم هذا المصطلح، وأصبح يشمل كل مؤسسة تعليمية تعنى بتربية الصغار؛ حتى ولو لم تكن معنية في المقام الأول بتعليم القراءة والكتابة. فقد أطلق هذا المصطلح على مؤسسات تعليمية كان همها الأول تعليم الصغار القرآن الكريم.

وهناك من يرى أن الكتاب كان معروفاً عند العرب؛ وبخاصة في مكة المكرمة؛ بدليل وجود سبعة عشر رجلاً من قريش كانوا يعرفون القراءة والكتابة عند مجيء الإسلام. والواقع أن هذا الاستنتاج غير قطعي، فالقرشيون كانوا على اتصال بالأمم المجاورة؛ لاشتغالهم بالتجارة؛ فالتعلم جاء نتيجة للاحتكاك بالخارج، لا نتيجة لوجود الكتاتيب. على أن الأمر الذي لا جدال فيه أن الكتاب كمؤسسة تعليمية قد أخذ في الانتشار منذ بزوغ نور الإسلام؛ نتيجة لعوامل عدة، منها :

١) يحث الدين الإسلامي على القراءة والكتابة؛ فأول كلمة نزله بها الوحي على محمد ﷺ هي كلمة **إقرأ**. كما أن الرسول ﷺ كان بحاجة إلى من يكتب ما ينزل عليه من القرآن الكريم؛ حفظاً له من الضياع، أو التبديل.

٢) اتساع الدولة الإسلامية؛ فمما ترتب على ذلك نشوء الدواوين؛ كي تنظم إدارة الدولة على أسس سليمة. وكان لابد لكل من أراد الانخراط في الخدمة بها أن يكون ذا إلمام بمبادئ القراءة والكتابة.

وقد ظهرت في المجتمع الإسلامي أنواع متعددة من الكتاتيب، فهناك كتاتيب تعنى بتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وأخرى لا تعلم إلا الخط، وفئة ثالثة معنية بتعليم القرآن الكريم. ومما يؤكد ذلك قول ابن بطوطة :

> ومعلم الخط غير معلم القرآن، يعلمهم بكتب الأشعار وسواها. ولا يكتبون القرآن في الألواح؛ تنزيهاً له، فينصرف الصبي من التعليم إلى الكتاتيب؛ لأن معلم الخط لا يعمل غيره".[٣٦]

ويؤكد ابن خلدون هذا؛ إذ يقول عند وصف حالة التعليم في بلاد المشرق الإسلامي :

> ولا يخلطون بتعليم الخط؛ بل لتعليم الخط عندهم قانون، ومعلمون له على انفراد؛ كما تتعلم سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان. وإذا كتبوا لهم الألواح؛ فبخط قاصر عن الإجادة."[٣٧]

وقد اختلف في الوقت الذي ظهرت فيه الكتاتيب المتخصصة في تعليم القرآن الكريم. فيرى المستشرق جولدزيهر أنها ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، بينما يرى الدكتور أحمد شلبي أن مثل هذا النوع من الكتاب لم يظهر إلا في نهاية القرن الأول، أو أوائل القرن الثاني للهجرة؛ فأقدم أنواع الكتاتيب تلك التي كانت تعلم مبادئ القراءة والكتابة. ويدلل على صحة رأيه هذا بالحجج التالية :

١) **قلة حفظ القرآن :** ويستشهد بهذا الصدد بقول لابن العربي يذكر فيه أن غالبية الأئمة لا يحفظون القرآن الكريم. والواقع أن هذا السبب غير مقبول؛

---

[٣٦] - أحمد شلبي : **تاريخ التربية الإسلامية** ، ٣٧.

[٣٧] - **مقدمة ابن خلدون** ، ٥٣٩.

إذ لا يشترط فيمن أراد تعليم القرآن أن يكون من حفظته. والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعلمون غيرهم ما يحفظونه من القرآن الكريم.

٢) لقد كانت هناك مهام ضخمة تنتظر حفظة القرآن الكريم؛ ولهذا لا يعقل أن ينصرفوا عنها إلى تعليم الأطفال. ويمكن أن يرد على هذا بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وما الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأقوال المأثورة التي وردت في فضل العلم، إلا دليل على مدى حرص الإسلام على تعلم العلم ونشره. بل أن الفتوحات الإسلامية وخروج المسلمين لنشر الإسلام كانت تحتم قيام مؤسسات تعليمية تعلم أبناء المسلمين دينهم الحنيف؛ كي يقوموا بنشره في الخارج.

٣) يستشهد بأقوال ابن بطوطة وابن خلدون التي سبقت الإشارة إليها.[٣٨] والنظرة الفاحصة في تلك الأقوال تبين أنها تنص على انفصال كتاب الخط عن كتاب القرآن الكريم، ولا يوجد ما يشير إلا أنها جاءت في وقت متأخر. بل إن ابن بطوطة يذكر أن الصبي ينقل بعد الانتهاء من الدراسة في كتاب القرآن إلى كتاب الخط. وهذا نابع من حرص المسلمين على تعليم ابنائهم القرآن الكريم في وقت مبكر.

من هنا يمكن القول بأن حاجة المجتمع الإسلامي كانت تدعو منذ البداية إلى قيام الكتاتيب التي تعلم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة. أما الكتاتيب التي تعلم الخط فقد جاءت في وقت لاحق. ويمكن استنتاج ذلك من قول ابن خلدون أن الخط حرفة لا تظهر إلا في المجتمع المتقدم، ولا مكان لها في المجتمعات البدوية.[٣٩]

---

[٣٨] - أحمد شلبي : **تاريخ التربية الإسلامية** ، ٣٩.

[٣٩] - **مقدمة ابن خلدون** ، ٤١٩.

لقد وجد الكتاب جنباً إلى جنب مع المسجد، وأسهم في نشر نور العلم والمعرفة، وكان الكتاب يتخذ من المسجد مقراً له في بعض الأحيان. وينطبق هذا القول على الكتاتيب في مكة المكرمة؛ إذ إن بعض معلمي الأطفال كانوا يقومون بتأدية رسالتهم التعليمية في المسجد الحرام. وهذا يتضح من حديث الفاسي[٤٠] عن أحمد بن أبي الخير القسطلاني؛ إذ يقول :

"وجَوَّدَ الكتابة، وصار يكتب الوثائق .... مع تأديبه للأطفال بالمسجد الحرام تحت مئذنة باب علي."

الكتاتيب في مكة المكرمة في العصر الحديث : كانت الكتاتيب في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة منتشرة في كل حارة ، وكانت مهمتها ختم القرآن مجوداً؛ علاوة على تعليم الطلاب القليل من مبادئ القراءة والكتابة . وكانت هناك كتاتيب خاصة بتعليم الخط والحساب، وأشهرها كُتَّاب الشيخ فرج غزاوي، وكتاتيب أولاده عبد الله غزاوي، وسليمان غزاوي، وتاج الدين غزاوي.[٤١]

وفي هذه الكتاتيب كان الطلاب يجلسون على الأرض، وغالباً ما يكون هؤلاء متفاوتين في السن؛ ففيهم الكبير، والصغير. ويقسم المعلم ــ الذي كان يدعى الفقيه ــ الطلاب إلى مجموعات، ويختار من بينهم العرفاء؛ ليساعدوه في التحفيظ. ويمكن إيجاز حال الكتاتيب في النقاط التالية :

١) لم تكن الكتاتيب تراعي مبادئ الصحة العامة ، كما أن الأثاث الذي يضمه الكتاب في غاية البساطة. ويصف المربي عمر عبد الجبارحال الكتاتيب بقوله :

---

[٤٠] - الفاسي : **العقد الثمين** ، الجزء الثالث ، ١٣٦.

[٤١] – من مقابلة شخصية أجراها المؤلف مع الشيخ إسحاق عزوز.

"وكان الكتاب في ذلك العهد عبارة عن حجرة مفروشة بحصر بالية، أزيار مكشوفة، يشرب منها الأطفال؛ وفيهم الصحيح والمريض، وقد يكون المرض معدياً .....فينشرون العدوى بين الأصحاء باختلاطهم في الجلوس على الحصر، والشرب من إناء واحد."[٤٢]

٢) لم تكن على مستوى تعليمي ملائم؛ فقد يقضي الطالب بالكتاب وقتاً طويلاً؛ ومع هذا تبقى حصيلته المعرفية محصورة في الحروف الهجائية. ولعل ذلك راجع لعدة عوامل، منها : جمود أساليب التدريس، ثم استغلال التلميذ، وتكليفه بأعمال كثيرة خدمة للفقيه. فالطلاب كانوا يكلفون بالمحافظة على شربته، أو شراء كل ما يحتاج إليه من السوق. ويصف المؤرخ أحمد السباعي مورخ مكة حالة الكتاتيب وصفاً دقيقاً ، عندما يقول:

وكنت أشارك في بعض هذه الخدمات، أو أكثرها؛ لأن سيدنا كان لا يدين كثيراً بمبدأ التخصص. وكان يميزني، ويختصني برعاية بالغة في بعض الأحيان؛ فيسلمني نعاله أمضي به إلى العم جابر الخراز في رأس المدعى .. أو يبعث بي إلى أمه في دارها، أحمل إليها زنبيل المقاضي، وأقضي عندها وقتاً غير يسير أعاونها في غسل الصحون والأطباق."[٤٣]

٣) أهم ما كان يفرح الطلاب، ويدخل البهجة إلى نفوسهم، الاحتفالات التي يقيمها الكتاب، والاحتفالات نوعان :

---

[٤٢] – عمر عبد الجبار : **دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام** .

[٤٣] – أحمد السباعي : **أيامي**، ٩–١٠.

الإصرافة : وهي احتفال بسيط يقام في الكتاب؛ إذ يأتي أهل التلميذ إلى الكتاب؛ ليستمعوا إلى السورة التي بلغها ابنهم من القرآن الكريم. وحينما ينتهي التلميذ من قراءتها من اللوحة يقدم أهله بعض الهدايا للفقيه، وتوزع الحلوى على الطلاب، ثم يعلن ذلك اليوم إجازة للجميع؛ ابتهاجاً بالتحصيل العلمي الذي وصله أحد تلاميذ الكتاب.[٤٤]

الاقلابة : ينقلب الكتاب في هذا الاحتفال رأساً على عقب؛ إذ يلبس الطلاب أبهى الملابس، ويقفون في صف واحد؛ بحيث يأتي أصحاب الملابس اللامعة والنظيفة في المقدمة، ويسيرون، وهم ينشدون، حتى يصلوا بيت زميلهم؛ فيستقبلهم ممتطياً جواداً، ثم يسير الموكب في شوارع مكة المكرمة، يتقدمهم المحتفى به، حاملاً لوحة كتب عليها السورة التي بلغها. ومما يجدر ذكره أن وصوله إلى تلك السورة هو سبب هذا الاحتفال الكبير. ثم يعود الموكب إلى بيت المحتفى به حيث يتناول الجميع الطعام .

لقد دارت عجلة الزمن، وحلت رياض الأطفال والمدارس الابتدائية الحديثة محل الكتاتيب. وهناك من يرى أنه ما زال بإمكان الكتاتيب أن تقوم بدور في تنشئة الأطفال؛ شريطة أن يعاد النظر فيها من الأساس. وينطلق الدكتور عبد الحميد الهاشمي في دعوته هذه من ثلاث حقائق[٤٥] :

١) انتشار الأمية والتخلف في أرجاء العالم الإسلامي .

٢) التزايد المطرد لعدد السكان؛ وهذا يعني تزايداً مستمراً في إعداد من هم بحاجة للالتحاق بالمدارس.

---

[٤٤] - **المصدر السابق**، ٣١.

[٤٥] – عبد الحميد الهاشمي ، **محاضرات في التربية الإسلامية ألقيت على طلبة للصف الثالث**- قسم التربية وعلم النفس عام ١٣٩١/١٣٩٢هـ ، ٩٢-٩٣ .

٣) على الرغم من اهتمام الدول الإسلامية بنشر العلم؛ فإن قسما كبيرا من دخلها يتجه نحو أمور أخرى؛ كنفقات الدفاع .

إن الكتاب يمكن أن يكون مفيدا في بعض الأقطار التي لا تستطيع استيعاب الأطفال جميعا في المدارس. ولكن من الصعب قبول الكتاب القديم كمؤسسة تربوية ناجحة؛ لأنه لا يستطيع الوفاء بحاجات العصر. فمن المعلوم أن إكساب الطلاب مهارة القراءة، ومهارة الكتابة، ليست كل ما تصبو إليه التربية في العصر الحديث.كما أن المحافظة على أساليب التعليم التي كانت سائدة في الكتاتيب لا تأخذ في الحسبان الحاجات النفسية للتلاميذ. فأساليب العقاب الشديدة التي كانت شائعة في الكتاتيب تنفر الطلاب من الدراسة، وكانت سببا في هروب أعداد كبيرة من الدراسة. وما يحتاج إليه الطلاب اكتساب القدرة على التعلم الذاتي، واكتساب القيم، والاتجاهات. فالتغيرات العالمية المعاصرة تقتضي أن يكون التطوير في المناهج الدراسية جذريا؛ بحيث تشمل الأهداف، والمحتوى، وأساليب التعليم والتعلم، وأساليب التقويم. وكل تطوير في منهاج الكتاب يفيد الطلاب، ولكن من الصعب أن يكون الكتاب قادرا على مواجهة التطورات الاجتماعية، والاقتصادية، وثورة المعلومات المعاصرة.